المصحف الشريف وجهود الليبيين في حفظه وتدوينه وطباعته

د. رجب فرج أبودقاقه
رئيس قسم القراءات ـ كلية علوم الشريعة بالخمس
rajdgag@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية: (التدوين،الزوايا، الضبط والرسم)

الملخص

الحمد لله الذي علم وألهم، ووفق وأنعم، وهدى من أذعن وأسلم، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فإنه منذ نزول القرآن على قلب محمد ﷺ تلقفه بلهفة وشوق، فحفظه ووعاه ودعا أصحابه إلى حفظه وإتقانه، وعزز هذا الحفظ بالتدوين، فكلف كتابا يدونون ما ينزل من القرآن الكريم، وقد ورد عنه ﷺ أنه كان كلما نزل عليه شيء من القرآن يقول:" ادع لي زيدا وليجئ باللوح والدواة..." [1].

واقتفى أثره المسلمون خلفا عن سلف، فحفظوا القرآن وحافظوا عليه، واهتموا بجمعه وكتابته في صحف ثم في مصاحف، ومن ثم طباعته ونشره، وكان لأهل هذا البلد جهود طيبة في هذا المجال، وهذه الورقة تبرز دور الأفراد والمؤسسات في الاهتمام بكتاب الله تعالى حفظا، وتدوينا، وطباعة، ونشرا، وارتأيت أن تكون مشاركتي في هذا المؤتمر العلمي الدولي (جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة) من خلال المحور الثالث وذلك بورقة تتضمن الإشارة إلى جهود الليبيين في إتقان الحفظ، وجودة الأداء، وسلامة النطق، ودقة الرسم والكتابة في الألواح والقراطيس، فحفاظ هذا البلد دونوه مجزءا في الربعات، ومتكاملا في مصاحف مخطوطة قبل أن تنتشر صناعة الطباعة، ومن ثم تابعوا ذلك بالطباعة والنشر فيما بعد، والورقة تتناول تدوين المصاحف القرآنية في صدر الإسلام وبعده، وتشير إلى أهم المراكز العلمية ـ في ليبيا ـ التي حافظت على النص القرآني ، كما توضح دور المؤسسات والأفراد ـ في هذا البلد ـ في التدوين والطباعة والنشر، بالإضافة إلى الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على من أنزل علية القرآن، فحفظه ووعاه، وبلغه أصحـابه فحفظوه، وأمرهم بكتابتـــه فدونوه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .وبعد:

فإن الاستقراء التاريخي يشير إلى أنه لم يكن لعرب الحجاز نشاط ثقافي مدون قبل الإسلام، ولم تكن لهم أنشطة تستدعي الكتابة على نطاق واسـع، وكان الشعر والخطابة سبيلهم للتعبير عن مشاعرهم وأغراضهم، أما في جنوب الجزيرة العربية وشمالها فكانت الكتابة شائعة لديهم، حيث كان أهل اليمن يكتبـــون بالمسند، وهو خط أهل اليمن القديم، ومن هنا يمكن القول بأن بزوغ فجر الإسلام في بلاد العرب كان إيذانا بنهضة شاملة، كان أحد مظـاهرها انتشـار الكتـابة في الحجـاز وغيره، واستخدامها في أغراض الحياة المتـعددة علـى الرغم من قلـة الكاتبيـن في بـدء الدعوة، وصعوبة الحصول على وسائل الكتابة وأدواتها[2].

ورغم وصف القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم بالأمية كما في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [3] فإن هذا الوصف في حقه من المحامد، لأنها أدل على صدقه، ومع تأكيد القرآن بعدم معرفة الرسول للكتابة كما أفصح عن ذلك رب العزة جل جلاله في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [4] إلا أن هذا الأمر(التدوين) كان من أولى اهتماماته ﷺ بعد البعثة، حيث اعتنـى بتعليـم القـراءة والكتابة، ووجه

(1) الاستيعاب لابن عبد البر:69/1.
(2) ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي 4/ 243.
(3) الأعراف من الآية: 18
(4) العنكبوت الآية: 48.

أصحابه إلى ذلك، واتخذ منهم كتابا يدونون الوحي، ويكتبون رسائله إلى الملوك والأمراء والقياصرة، ويوثقون المعاهدات وغيرها[1] ، بل إنه كان حريصا على الكتابة والتدوين، حيث ورد عنه قوله: " قيدوا العلم بالكتاب"[2]

إشكالية البحث

عنوان البحث يحمل في ثناياه جملة من علامات الاستفهام التي يطرحها المهتمون بهذا الموضوع الشائك والشائق في ذات الوقت، وهو يحاول الإجابة عنها ما أمكن، من بينها: هل تدوين القرآن الكريم يتضمن ميزة معينة للمحافظة على النص القرآني وسلامته من التحريف والتصحيف؟ وما مدى اهتمام السلف (من الصحابة والتابعين وتابعيهم) بكتابة القرآن وتدوينه؟ وهل كان لحفاظ هذا البلد دور في المحافظة على النص مكتوبا (مخطوطا أو مطبوعا) إضافة إلى ما امتاز به أبناؤه في المحافل الدولية من جودة الحفظ، وسلامة النطق، ودقة الأداء؟ ثم ماهي الخطوات العملية التي قامت بها المؤسسات والأفراد في مجال طباعة المصاحف القرآنية بمختلف الروايات الصحيحة المتواترة ونشرها وتوزيعها عبر قارات العالم؟

الدراسات السابقة:

نظرا لما يمثله المصحف الشريف من أهمية في حياة الأمة فقد تناول الكُتَّاب والبُحَّاث هذا الموضوع قديما وحديثا من جوانب متعدد، فكتبوا عن أهمية تدوين المصاحف وجمعها، وعن قواعد رسمها وضبطها، ونوع خطها، ومن المصنفات التي تناولت هذه القضايا:

كُتَّاب النبي للبلاذري(ت: 279هـ) وكِتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني(ت: 238هـ)، والمقنع في مرسوم مصاحف الأمصار للداني(ت: 444هـ) والمحكم في نقط المصاحف للداني والتبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح(ت: 496هـ) .

ومن الكتب المعاصرة التي اهتمت بتدوين المصاحف، وتحدثت عن نسخها وطبعها:

تاريخ المصحف الشريف لعبد الفتاح القاضي (ت:1403هـ)وتاريخ توثيق نص القرآن الكريم لخالد العك (معاصر)، ورسم المصحف دراسة تاريخية، لغانم قدوري(معاصر)، وتاريخ الطباعة في المشرق العربي، والنشاط الثقافي في ليبيا منذ الفتح الإسلامي لأحمد مختار عمر(معاصر)، وغير هذا كثير، إلا أنها في المجمل تشير إلى جوانب معينة دون أن تتناول ما نحن بصدده وهو إبراز دور هذا القطر في المحافظة على كتاب الله مخطوطا أو مطبوعا وفق قواعد رسمه وضبطه، ونقطه وشكله، بالإضافة إلى حفظه في صدور أبناء هذا البلد، الذين نقلوه بالتواتر جيلا بعد جيل، إلى أن وصل إلينا غضا طريا كما أنزله رب العزة على نبيه محمد ﷺ، وبالتالي فإن الموضوع لم يتناول في السابق بهذه الكيفية ـ وفق اطلاعي ـ بل إن عديد القضايا لم يتم بحثها وإبرازها، وهو ما دعاني للكتابة في هذا الجانب.

حدود البحث:

لأن قضية التدوين والطباعة مطلقة، وما يتعلق بكتابة المصحف الشريف وجمعه في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته أثير حولها الكثير من الشبهات من حيث التوقيت، والترتيب، والجمع، لذلك اقتصرت حدود البحث على تدوين القرآن في حياته ﷺ وضوابط رسمه، وأهمية اتباع قواعده عند كتابة المصحف الشريف، ومن ثم الجهود التي بذلت فيما بعد لطباعة المصاحف ونشرها، والورقة تلامس جانبا من هذا الموضوع بالتتبع، والاستقراء، وصولا إلى إبراز جهود أهل هذه البلاد في تحفيظ القرآن الكريم، وكتابة المصاحف الشريفة وطباعتها ونشرها، وتتضمن الورقة ـ بعد المقدمة ـ ثلاثة مباحث، وخاتمة:

الأول : تدوين المصحف في صدر الإسلام وبعده: أدواته، ضوابطه.

الثاني: أهم المراكز في ليبيا التي حافظت على النص القرآني.

الثالث: دور المؤسسات والأفراد في طباعة المصاحف ونشرها.

([1]) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر 1/ 69.

([2]) روي موقوفا عن عمر بن الخطاب، تخريج شرح السنة 295/1 قال: فيه عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف، وأورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في معرض حديثه عن الرخصة في كتابة العلم، ص:72/2.

المبحث الأول: التَّدوين في العهد النبوي، أدواته وضوابطه.

مصطلح التَّدوين

دَوَّنَ بمعنى كَتَبَ، والتَّدوين تحويل المحفوظ في الذاكرة أو الصوتيات إلى شيء مكتوب، وكتابتـه تدوينـه، وتدوين القرآن الكريم تحويلـه من حالته السماعية إلى حروف مقروءة يمكن الحفاظ عليها، ومن هنا فإن المعنى: تحويل كل ما يفهمه الإنسان من حالته الأصلية، سواء كانت أفكارا أم مشاعر، أم نقلا لأقوال الآخرين إلى حالة مكتوبة يمكن قراءتها ليسهل نقل ذلك وحفظه، ومن خلال النهضة العلمية ظهرت أنواع من التدوين تحفظ الأفكار والمشاعر، وتنقلها لآخرين عبـر الأجيال منها: الصوتيات المسجلة والمتحركة وغيرها، وجميعها تقوم بإخراج المعلومة من إطار الذات إلى الآخرين بدل أن تكون مخزنة في داخل عقلك، أو موهبة مخفية عن أعين الناس.

ومن المؤكد أنه كان للكتابة منزلتها عند العرب حتى في عصر ما قبل الإسلام المسمى بـ(العصر الجاهلي) ومع ذلك فالذين كانوا يكتبون قلة قليلة، وحين جاء الإسلام استطاع النبي بفضل سياسته الحكيمة نشر التعليم وشجع صحابته على ذلك حتى تجاوز كتاب الوحي عنده أربعين كاتبا[1]،

والفرق بين الكتابة والتدوين: أن الكتابة مطلق خَطَّ الشَّئَ ودَوَّنَهُ مراعاة لجمع الصحف في إطار يجمعها، أمـا التدوين فمرحلة تالية للكتابة، ويكون بجمع الصحف في ديوان يضمها بين دفتين، والكتابة: كتب الشئ كتابة وكتبا، وكتبه خطه[2]، وفي التـاج: "دونه تدوينا جمعـه"[3]، وعليه فالتدوين: جمع الصحف المشتتة في ديوان ليحفظها ويرى بعضهم أنهما بمعنى واحد.

والقرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ منجما ولم ينزل دفعة واحدة كما كانت تنزل الكتب السابقة وذلك لحكم جليلة تميز بها خاتم الكتب، وقد تساءل المشركون عن ذلك، ونقل لنا القرآن الكريم تساؤلهم في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.﴾ [4]، واستمر نزوله أكثر من عشرين سنة، وقد كان الرسول ﷺ حريصا على حفظ ما ينزل من القرآن، فيتابع بشغف ودقة ما يأتي به أمين الوحي جبريل عليه السلام، ويردد خلفه كل لفظ يتلوه إلى أن جاءه التوجيه الإلهي يطمئنه قائلا: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه﴾ [5]، بل إن الله تعالى أبعد عنه هاجس خوف الخطأ والنسيان بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ.﴾ [6].

كل هذا الجهد كان منصرفا إلى الحفظ الشفهي والاعتماد على الذاكرة التي كانت متميزة في جزيرة العرب، فأهلها ينظمون القوافي والقطع النثرية ويتناقلونها شفهيا، وهذه الميزة جعلت حفظ ما ينزل من القرآن ونقله في الذاكرة سهلا ميسرا، لكن الرسول ﷺ لم يكتف ـ في حفظ القرآن ـ بالاعتماد على النقل الشفهي بل عززه بالكتابة والتدوين، فاتخذ كتابا للوحي يدونون ما ينزل من النص القرآني، ولأن الكتابة أضبط من صدور الرجال، لذلك أمر الرسول بكتابة القرآن حفظا له من الضياع.

ومع أن الكتابة في حواضر الحجاز زمن البعثة لم تكن واسعة الانتشار فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على تسجيل ما ينزل من القرآن، حتى إنه نهى عن كتابة شيء غير القرآن كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (ت:74هـ): ((لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه)) [7]، وأول من كتب الوحي من قريش بمكة هو عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه[8]، وأول من كتب الوحي بالمدينة أبَيّ بن كعب الأنصاري رضي الله عنه[9]، ثم زيد بن ثابت رضي الله عنه[10] وآخرون، وكان زيد أكثرهم مداومة مع الرسول وألزمهم لكتابة الوحي، جاء في

([1]) ينظر: البداية والنهاية:543.
([2]) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة(كتب) 1/ 698.
([3]) ينظر: تاج العروس للزبيدي مادة(دون) 9/ 204.
([4]) الفرقان من الآية: 32.
([5]) القيامة من الآية:16.
([6]) الأعلى الآيتان:7،6.
([7]) حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه الألباني في صحيح الجامع تحت رقم:7434 وقال: حديث صحيح.
([8]) عبد الله بن سعد بن أبي السرح، أسلم قبل صلح الحديبية، كان كاتبا للوحي، هاجر مع من هاجر إلى المدينة، ثم ارتد عن الإسلام وعاد إلى مكة، استجار بعثمان أخيه من الرضاعة، وعاد إلى الإسلام يوم الفتح وحسن إسلامه، عينه عثمان واليا على مصر، فتح إفريقيا في معركة العبادلة، وانتصر على الروم في ذات الصواري، (ت:36ه)، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ص:129.
([9]) أبي بن كعب بن قيس، من بني النجار، خزرجي، صحابي من الأنصار، (ت:21ه)، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد3/ 378.
([10]) زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، كاتب الوحي لرسول الله وأمينه على الوحي (ت:45ه) وكان ممن كتب الوحي من الصحابة عثمان، وعلي، ومعاوية وغيرهم، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري1/ 296 وتاريخ المصحف الشريف، عبد الفتاح القاضي، ص: 36.

الاستيعاب: "وكان أُبَيّ بن كعب ممن كتب لرسول الله الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضا، وكان زيد ألزم لكتابة الوحي"[1]. ذلك لأن منزله كان قريبا من بيوت رسول اللهﷺ، وكان أهل المدينة يسمونه: كاتب الوحي[2]، فتعَدُدُ كتَّابِ الوحي دليل على استجابة الصحابة لتنفيذ الأمر الإلهي بالقراءة وتعلم الكتابة الذي صدر للرسول في أول نص نزل من القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ﴾ [3].

طرق كتابة الوحي ووسائله.

الوحي هو خطاب الله لخلقه من خلال رسالة سماوية خالدة، يحملها أمين الوحي جبريل عليه السلام ليبلغها إلى خاتم الرسل محمد بن عبد الله، فكان كلما جد أمر، أو وقعت واقعة، واقتضت حكمة الله تعالى أن يبين الأمر فيها ينزل جبريل عليه السلام مبلغا أمر الله إلى نبيه، ويستقبل الرسول ﷺ الوحي الإلهي، فيتلوه على صحابته، ثم يأمر الكتبة بتدوينه من خلال وسائل الكتابة المتاحة: القلم، والرق، والقرطاس وغيرها، وقد نقلت إلينا المصادر التي دَوَّنت للمصحف وتاريخ كتابته وطرقها ووسائلها أن القرآن كان يكتب على الجلود، والرقاع والأضلاع، والعسب، واللخاف، والأقتاب، ذلك لأنه لاوجود لوسائل تستعمل في الكتابة غيرها ـ حسب بعض المصادر ـ ولا أدل على ذلك من قول زيد بن ثابت رضي الله عنه حين كُلِّف بجمع القرآن في صحف زمن خلافة الصديق رضي الله عنه: "فجعلت أتتبعه من العسب، والرقاع، والعظام، واللخاف، والأقتاب، والأكتاف وغيرها..." [4].

ونقل السجستاني (ت:316هـ) ما نصه: "فتتبعت القرآن أنسخه من الصحف، والعسب، واللخاف، والأضلاع، وصدور الرجال..."[5]، ونقل الداني (ت:444هـ) حديث زيد في المقنع: "فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال، ومن الرقاع، ومن الأضلاع، ومن العسب..."[6]، ومثل هذا أورده غانم قدوري في رسالته العلمية حول تاريخ رسم الصحف الشريف[7]، وأغلب المصادر التي أرَّخت لتدوين القرآن في العهد النبوي ـ القديم منها والحديث ـ تؤكد أن كتابة القرآن في حياته صلى الله عليه وسلم لم تتجاوز هذه الأدوات، وهم ينقلون هذه المسميات من خلال حديث زيد الذي ورد في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث والسير[8].

لكن بعض الدراسات الحديثة تَنقُضُ ما ورد في هذا الشأن، وتنفي أن يكون وحي القرآن قد كتب ـ في حضرة الرسول ﷺ ـ على العسب، واللخاف، وأضلاع الشاة وما إليها، وتشير إلى أن العرب لم يستعملوا تلك الأشياء للكتابة قط في المعاملات العامة، بل إنهم كلما أرادوا أن يكتبوا شيئا له أهميته فإنهم يكتبونه على الرق، والأديم، والقرطاس، والأخبار التي نقلت إلينا عن تدوين القرآن تؤكد لنا بأنه منذ نزول الوحي على الرسول ﷺ كان يكتب في صحف، والصحف جمع صحيفة وهي صحف القرآن، وقد ورد في التنزيل:﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [9] ويستدلون على هذا بقصة إسلام عمر بن الخطاب حيث وجد صحيفة عند أخته وزوجها بها آيات من سورة طه[10].

أما الرق، والأديم، والقرطاس، فهي مسميات عرفها العرب، وتحدث عنها القرآن، حيث جاء ذكر الرق في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ﴾ [11]. وعن لفظ الرّق قال حسان بن ثابت:

([1]) الاستيعاب لابن عبد البر 1/ 68.

([2]) ينظر: تاريخ المصحف الشريف للقاضي، ص:36.

([3]) العلق الآيات: 1 ــ 5.

([4]) العسب: جريد النخل، واللخاف: الحجارة الرقاق، والرقاع: الجلود، والأكتاف: عظم الكتف من البعير أو الشاة، والأقتاب: الخشب الذي يوضع على ظهر البعير، ينظر: والإتقان للسيوطي 1/ 169.

([5]) كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني ص: 53 ــ 56.

([6]) المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار ص: 3 ومثله ذكر أبو شامة في المرشد الوجيز ص:60. وحديث زيد هذا بمختلف طرقه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: فضائل القرآن باب: جمع القرآن حديث رقم:4986، قال ابن معين: لم يرو أحد حديث جمع القرآن أحسن من سياق إبراهيم بن سعد، فتح الباري لابن حجر العسقلاني 712/8.

([7]) وعنوان الرسالة: (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية) غانم قدوري الحمد وهي مطبوعة متداولة.

([8]) جاء في نص الحديث الذي أخرجه البخاري: (والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما كلفوني به من جمع القرآن) حديث رقم:4986.

([9]) سورة عبس الآيتان:13، 14.

([10]) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، ذكر إسلام عمر 2/ 58 وسيرة ابن هشام 216/1.

([11]) الطور الآيات: 1 ــ 3 والرق كما ورد في كتب التفسير: الصحيفة، وخصصت في العرف بما كان من جلد، ينظر: الكشاف للزمخشري 4/ 22، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ص:661.

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَثِيبِ كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الرِّقِّ الْقَشِيبِ[1]

كما ورد مسمى القرطاس في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [2]، وتناول العرب لفظ الصحيفة أيضا في أشعارهم، من ذلك قول المتلمس يخاطب طرفة بن العبد:

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لاَ أَبَا لَكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْجِنَاءِ النَّقْرَسِ[3]

وهذا في مجمله جعل الباحث يميل إلى استبعاد أن يكون كتاب الوحي قد دونوا القرآن بين يدي الرسول على جريد النخل، أو عظام الشاة، وهو ما جعله يُؤَوِّل ما نقل عن زيد بن ثابت في البخاري وغيره بأنه ((كان يتتبع نصوص القرآن)) أن ذلك في غير ما دون أمام المصطفى صلى الله عليه وسلم، مما كان يكتبه عامة الصحابة في صحفهم الخاصة، فلعل هؤلاء كانوا يكتبون في الأدوات المتوفرة في البيئة، فالحجارة الملساء متوفرة في جبال مكة، والعسب المتخذ من جريد النخل متوفر في بساتين نخل المدينة، أضف إلى كل ذلك أن الرسول كان ـ بين حين وآخر ـ يخاطب الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، ويرسل لهم رسائل مدونة على الرق، والأديم، والقراطيس، فقد بعث صلى الله عليه وسلم رسائل إلى النجاشي ملك الحبشة، والمقوقس عظيم مصر، وإلى هرقل قيصر الروم وغيرهم، كتبت هذه في قراطيس من الجلود وغيرها، فهل يتوقع أن يُجِلَّ الرسول وصحابته هؤلاء الكفرة ويكتب لهم على الرق وما في حكمه، بينما يكتب النص القرآني على العظام وجريد النخل؟ الأمر الذي يجعلنا نميل إلى ترجيح أن يكون الوحي الإلهي قد دُوّن على الصحف منذ البداية، وهو ما تعززه قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي سبقت الإشارة إليها، ويؤيد القول بأن كل وحي ينزل كان يكتب على رق جديد مستقل، على طريقة البطاقات عند الباحثين في العصر الحديث، حتى يمكن تقديمه وتأخيره بكل سهولة، ويوضع الوحي الجديد في موضعه بين الآيات التي سبق نزولها دون صعوبة، وهو ما يتفق مع أمره صلى الله عليه وسلم لصحابته حين ينزل نص جديد من القرآن فيقول لهم: "ضعوا هذه الآية في موضعها كذا من سورة كذا"[4]، إضافة إلى ما تقدم فإنه قد ورد أن الرقاع التي دون عليها القرآن في مكة قد حملت ونقلت إلى المدينة المنورة قبل الهجرة، وقد وردت الإشارة إليها في كتاب الإصابة عند ترجمة رافع بن مالك الزرقي، حيث "روى الزبير بن بكار عن عمر بن حنظلة أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن، وأن رافع بن مالك لما لقي رسول الله ﷺ بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت، فقدم به رافع المدينة، ثم جمع قومه فقرأ عليهم في موضعه"[5] وأول من ذكر قصة نقل الرقاع من المُحْدَثين عبد الرحمن بن اسبينداري في كتابه: (كتابة القرآن في العهد المكي)[6].

وإذا كان التدوين لكتاب الله قد تم بهذه الطريقة: قطع الرق، والأديم تحمل كلاً منها النص القرآني الذي نزل في وقت ما، وانتظم في موضعه من الآيات في السورة والمكان الذي حدده الرسول ﷺ ((ضعوا هذه الآية...)) فمعنى هذا أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي قطعا، بل ـ ربما ـ وترتيب السور أيضا، وهذا يعني كذلك أن القرآن مجموع في عهده صلى الله عليه وسلم، وعمل زيد في الجمع في عهد الصديق رضي الله عنه كان إعادة ترتيب ونسخ في صحائف متناسقة في الحجم والخط بدل القطع الصغيرة التي دُوّنت فيها الآية أو الآيات، أو الجزء من الآية كما هو في قول الله تعالى: ﴿غَيْرَ أُوْلِي الضَّرَرِ.﴾ [7]، مع الاستعانة بالكتابات الخاصة عند بعض الصحابة لزيادة الاطمئنان فقط، ولعل مثل هذا الطرح ينسف جملة مما دون في كتب التراث حول جمع القرآن ودوافعه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل ويطرح سؤالاً مفاده: هل كانت هناك أسباب تعيق تدوين القرآن وجمعه زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟

الباحث المدقق يظهر له بوضوح ـ بناء على ما يقوله أصحاب هذا التوجه ـ أن لا وجود لأي سبب يعيق تدوين القرآن وجمعه في حياة المصطفى ﷺ، بل إن الظروف كلها متاحة ومهيأة، والدواعي متوافرة لتدوين القرآن وجمعه بين دفتين، نعم أشار عدد من الذين تحدثوا عن جمع القرآن إلى جملة من الأسباب حالت دون جمعه في هذه الفترة لعل أهمها نقطتان:

([1]) البيت من مطلع قصيدة لحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، ينظر ديوانه: 122.

([2]) الأنعام:7، أورد الزمخشري في الكشاف أن القرطاس الورق،6/2، وقال القرطبي: "القرطاس الصحيفة، وهو بكسر القاف وضمها، وقرطس فلان إذا رمى فأصاب الصحيفة"، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي8/ 393.

([3]) ديوان المتلمس الضبعي ص: 364 اعتنى به: حسين كامل.

([4]) وفي رواية عثمان رضي الله عنه:" ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا" أورد النص بكامله شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند الآثار برقم:499 وقال: إسناده ضعيف.

([5]) رافع بن مالك بن زريق، أحد النقباء الذين بايعوا الرسول في العقبة، ويسمونه الكامل لأنه كان يتقن القراءة، استشهد يوم أحد، الإصابة في تمييز الصحابة 242/2.

([6]) ينظر: كتابة القرآن في العهد المكي ص:106، وبهجة الجنان في تاريخ تدوين القرآن ص:128.

([7]) حين نزل قول الله: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون .. الآية) قال زيد بن ثابت: جاء ابن أم مكتوم ورسول الله يمليها عليّ فقال يا رسول الله: لو أستطيع الجهاد لجاهدت (وكان أعمى) فنزلت...ينظر: أسباب النزول للواحدي النيسابوري ص:100، 101.

الأولى: ورود النسخ في القرآن الكريم بين الحين والآخر، حيث أوردت كتب التفسير ـ وما دون في علم الناسخ والمنسوخ ـ أن بعضاً من الآي أو الآيات كانت تنزل ثم تنسخ، وهذا الأمر استمر إلى آخر حياته صلى الله عليه وسلم، فما كان في مقدوره أو مقدور الصحابة أن يجمعوا القرآن بين دفتين قبل أن يبلغ نهايته، ومما يؤكد ذلك ما نقل عن زيد الذي ترأس لجنة جمع القرآن في العهدين أنه كان يطلب شاهدين مع وجود النص المكتوب أن هذا مما ثبت في العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته[1].

الثانية: عدم الحاجة إلى الجمع لعدم وجود أسباب تدعو لذلك مثل ما وقع في عهد الخليفة الصِدّيق ـ رضي الله عنه ـ من فتنة الردة، وخوف ضياع القرآن بموت عدد كبير من الحفاظ في معركة اليمامة الشهيرة[2]، فالفتنة مأمونة ـ كما يقول أصحاب هذا الرأي ـ والتعويل على الحفظ أكثر، وعناية الرسول باستظهار القرآن تفوق الوصف، لكن هذا السبب غير مسلَّم به، إذ إن الصحابة لم يهملوا التعويل على الكتابة والتدوين، ولم يؤثر عنهم الاهتمام بالحفظ والفهم فقط، أو القول بأن التعويل على الذاكرة يغنيهم عن التدوين، حيث دون القرآن في صحف في خلافة الصديق ثم في مصاحف وزعت على الأمصار في خلافة عثمان رضي الله عنهما، بعدها تتابع المسلمون يدونون القرآن نقلا عن المصاحف الأمهات التي أرسلت إلى الكوفة والبصرة والشام إضافة إلى الحجاز، وكان للوراقين دور مهم في الكتابة والنشر فحافظ المسلمون على النص القرآني مدونا بالإضافة إلى الحفظ في الصدور الذي انتشر من خلال مراكز ومنارات للتحفيظ أنشئت في مختلف المناطق التي فتحها المسلمون بينها هذا البلد.

المبحث الثاني: أهم المراكز ـ في ليبيا ـ التي حافظت على النص القرآني.

حين استقرت الدولة الإسلامية في مصر توجه الفاتحون غربا إلى الشمال الإفريقي بداية من ليبيا ، حيث تم الفتح الإسلامي لإفريقيا على يدي عبد الله بن أبي السرح سنة: 27هـ في حملة اشترك فيها آلاف الصحابة من بينهم مجموعة من قراء الصحابة، وفيهم: عبد الله بن عباس(ت:68هـ)، وابن عمر(ت:73هـ)، وابن الزبير(ت:73هـ)، ثم كانت الحملة الأولى التي قام بها عقبة بن نافع الفهري (ت:63هـ)[3] في منتصف القرن الأول، وشارك فيها عدد من قراء الصحابة الذين أسسوا رباطات الجهاد[4]، وكانت تلاواتهم تسمع كدوي النحل، وبعد عقبة جاء حسان بن النعمان(ت:86هـ)[5] سنة: 78هـ الذي روي أنه عهد إلى ثلاثة عشر من قراء التابعين بتعليم القرآن، وبعده بعشر سنوات تقريبا تابع موسى بن نصير(ت:97 هـ) [6] المهمة وحث العرب على تدريس القرآن واللغة العربية للسكان المسلمين من غير العرب، كما اهتم ببناء المساجد والرباطات.

وفي نهاية القرن الأول الهجري أرسل الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز(ت:101هـ) بعثة متخصصة لتعليم القرآن، تضم أعلام القراء على رأسهم إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر(ت:132هـ) [7]، تلميذ عبد الله بن عامر الشامي(ت: 118هـ) الذي ولاه عمر بن عبد العزيز افريقيا سنة: 100هـ فكان خير معلم، وخير أمير، وهو مؤسس مسجد القيروان الذي تحول فيما بعد إلى مدرسة للقراء والقراءات، وكان رائد هذه المدرسة محمد بن خيرون الأندلسي (ت: 306هـ) . وإلى جانب قراءة أهل الشام التي نقلها طلاب عبد الله بن عامر فقد كانت القراءة التي اشتهرت بإفريقيا والأندلس هي قراءة الإمام حمزة (ت: 156 هـ) وهي التي نقلها قراء الكوفة الذين كانوا ضمن قافلة الفاتحين، وأول من أدخل مصحف نافع وموطأ مالك إلى

(1) ينظر: تاريخ المصحف الشريف، عبد الفتاح القاضي ص:44.

(2) معركة اليمامة وقعت سنة: 12 للهجرة وقتل فيها مسيلمة الكذاب واستشهد عديد الحفاظ، ينظر: تاريخ المصحف الشريف لعبد الفتاح القاضي، ص: 16 وما بعدها.

(3) عقبة بن نافع بن عبد قيس الأموي، ولد في حياة النبيﷺ، ولاه عمرو بن العاص على إفريقيا سنة: 42هـ، ثم ولاه معاوية أيضا سنة: 50هـ فسير جيشا جرارا حتى وصل إلى وادي القيروان فبنى فيه مسجدا، لايزال إلى اليوم يحمل اسمه، وفي عهد يزيد بلغ بجيشه المحيط، وفي طريق العودة حاصره كسيلى والفرنجة فقتلوه سنة: 63هـ ينظر: فتح العرب للمغرب: 130، وكتاب الوفيات لابن قنفذ ص: 59 ــ 60.

(4) الرباط قلعة مرتفعة تشبه المسجد، يرابط فيها عيون المسلمين لمراقبة تحركات جند العدو وعدده، تاج العروس: (ربط).

(5) حسان بن النعمان بن عدي الملقب بالشيخ الأمين، من أبناء ملوك الغساسنة، ولاه معاوية إفريقيا، أمر ببناء جامع الزيتونة، ت:86ه ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص:66 والدولة العربية في اسبانيا إبراهيم بيضون ص:57

(6) موسى بن نصير اللخمي، القائد الأعرج، فاتح إفريقيا والأندلس أيام الوليد بن عبد الملك، طلب منه الوليد التوقف عن التوغل في أوروبا فعاد إلى القيروان ثم إلى دمشق حيث بقي مستشارا وقائدا للجند، ذهب إلى الحج رفقة الخليفة فمات بوادي القرى سنة:97هـ البداية والنهاية لابن كثير6 : 256

(7) أبو عبد الحميد إسماعيل بن أبي المهاجر، تابعي، فقيه، وأحد رواة الحديث، من أهل دمشق، كان يؤدب ولد عبد الملك بن مروان، ولي إفريقيا في خلافة عمر بن عبد العزيز، ت:132ه ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي.

الأندلس هو الغازي بن قيس الأندلسي(ت: 199هـ) [1] ويبدو أن العديد من القراءات المتواترة قد نقلت إلى هذه البلاد وتواترت بين الحفظة، مما نتج عنه تأسيس بعض المدارس القرائية، بينها مدرسة القيروان التي أسسها أبو عبد الله محمد بن خيرون الأندلســـــي[2] الذي قدم إلى القيروان بعد رحلة علمية، فاستقر بها، وأسس جامعا سنة: 225هـ ورسخ فيها قراءة نافع المدنـــي(ت:169هـ) حتى صارت هي القراءة الرسمية(قراءة أهل البلد) وذلك بعد أن أصدر القــاضي: أبو العبــاس عبــد الله بن طـــالب أمرا إلى محمد بن برغــوث القروي القـــاري (ت: 272هـ) أن لا يقرئ بسواها[3].

من أشهر مشايخ المدرسة القيروانية: مكي أبو طالب القيسي: (ت: 437هـ) صاحب كتاب: الإبانة عن معاني القراءات، والكشف عن وجوه القراءات السبع، وأحمد بن عمار المهدوي القيرواني(ت: 437هـ) صاحب الهداية في القراءات السبع وغيره، وتأسست بعد ذلك العديد من المدارس القرائية من أشهرها مدرسة الإمام الداني(ت:444هـ) [4] في علوم القرآن، التي أنتجت حفاظا ومقرئين، تناقلوا علمه، وتوارثوا منهجه، وتدارسوا مؤلفاته القيمة في هذا المجال أشهرها: التيسير في القراءات السبع، والمقنع في مرسوم مصاحف الأمصار، والمحكم في نقط المصاحف، والمكتفي في علم الوقف، وهذه الكتب اهتمت بالمصحف وأحاطت بأبعاده الأربعة، لذلك أقبل عليها طلاب العلم بالشرح والتعليق والاستدراك، لأنها صادفت الفراغ فملأته على حد قول الشاعر المتبتل[5]:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وكان أثر المدرسة القيروانية واضحا في المحيط، حيث انتقلت قراءة نافع إلى القطر الليبي، وانتشرت بروايتيها: رواية قالون، ورواية ورش حتى صارت قراءة أهل البلد، ولاتزال حتى الآن تُعَلَّم في مراكز التحفيظ، والزوايا والمساجد، وإن غلبت رواية قالون في الانتشار عند الحفاظ أكثر من رواية ورش، ولا غرو في أن يتخصص الليبيون(وعموم المغرب) في حفظ كتاب الله بهذه القراءة، مع التعمق في قواعد رسمه وضبطه، وتنوع طرقه ورواياته وفق ما ورد في حديث الأحرف السبعة عن المصطفى[6]ﷺ، مع إحاطة رسمه وأدائه بترسانة من القواعد تجعله في مأمن من العبث والتصحيف والتحريف، سالما في رسمه، مدققا في ضبطه، مجودا في أدائه، غضا طريا كما تلقي من السلف الصالح عن رسول اللهﷺ[7].

والدراسات التاريخية تؤكد أن أهل هذا البلد قد تعلقوا بهذا الكتاب العزيز، وبذلوا جهدهم ووقتهم في حفظه وإتقانه، بل ونسخه في مصاحف، من ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الحميد بن مغيطير النفوسي الجناوني(كان موجودا عام: 135هـ) وهو فقيه، حفظ القرآن الكريم ، ونسخه بخط يده، وتولى تعليمه لأبناء بلده، وكان يتصف بالهيبة والوقار، ومحل ثقة الحكام في ذلك العهد[8].

وإذا كان هذا ديدن الأوائل من الحفاظ ، فإن من جاء بعدهم أشد تشبثا، وأكثر حرصا على متابعة الحفظ الجيد، والأداء المتمكن، والفهم السديد لكتاب الله تعالى عبر المراحل المتعددة، ورغم التقلبات السياسية والاجتماعية والحقبة الاستعمارية التي مرت بها بلادنا، فقد كانت الكتاتيب والخلاوي في المساجد والزوايا تزخر بهؤلاء الرواد الذين حافظوا على النص القرآني محفوظا في الصدور ومكتوبا في السطور. ويمكننا أن هنا نشير إلى أشهر المساجد والزوايا مع إبراز الدور الذي قامت به في هذا المجال:

أشهر المساجد وأثرها في تحفيظ كتاب الله:

([1]) أبو محمد الغازي بن قيس الأندلسي، أخذ القراءة عرضا وسماعا عن نافع وضبط عنه اختياره، صحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة، ينقل عنه الداني في المقنع كثيرا، ت: 199هـ غاية النهاية لابن الجزي 2:2.

([2]) يتظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض4: 313. وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب لمحمد ولد أباه ص: 189.

([3]) ينظر: تاريخ القراءات بالمشرق والمغرب لمحمد ولد أباه: 189، وترتيب المدارك مصدر سابق 4: 313.

([4]) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المعروف بابن الصيرفي، صنف أكثر من(130) كتـــابا في علوم القرآن ت: 444 هـ ينظر: طبقات القراء لابن الجزري 1: 503 ـــ 505 .

([5]) هذا البيت مشهور جدا، والكثير من الشعراء جعلوه في قصائدهم من بينهم: أبو المهذب الصيادي، وأيوب بن عيسى الأيوبي، وكان الألوسي في بديته شافعي الهوى وقد أنشد قول المجنون: أتاني هواها ..... ثم صار حنفيا فتغنى بقول قيس مرة: محـــــا حبها حب الألى كن قبلها وحلت مكـــانا لم يكن حل من قبل ينظر: روح المعاني لشهاب الدين الألوسي، دار الفكر بيروت 1: 39 .

([6]) ونص الحديث:" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه" صحيح البخاري:4992كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .

([7]) ينظر: المنهاج في رسمية الرجراج للفقيه عبد الواحد الرجراجي ص: 4 وما بعدها.

([8]) ينظر: المخطوطات العربية في المكتبات الليبية منذ الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي لمحمد كعبور، ص:24، والنشاط الثقافي في ليبيا، أحمد مختار عمر ص: 131ـــ 134.

ما أن استقر المقام للفاتحين في هذا البلد حتى بدأ عمل الصحابة بما بدأ به الرسولﷺ حين هاجر إلى يثرب وهو بناء مسجده المبارك، فكان تشييد المساجد أول ما فكر فيه قادة الفتح، باعتباره المكان الأمثل لتبليغ رسالة الإسلام، وتأدية العبادات، ففيه تتلى آيات القرآن، وتدرس تعاليم الدين الحنيف واللغة العربية، وفيه يلتقي القادة للتشاور في أمور العباد والبلاد.

لذلك كانت بلادنا عامرة بالمساجد التي تحملت هذه المسؤولية، ولا تزال تحمل أسماء الصحابة الفاتحين، كما تحمل أسماء العلماء الأفذاذ الذين نذروا أنفسهم للمحافظة على كتاب الله، ونشر تعاليم ديننا، وترسيخ قواعد لغة القرآن، فعمرو بن العاص (ت: 43هـ) بعد دخوله طرابلس أسس المسجد الجامع أمام باب هوارة، داخل سور المدينة، والذي أصبح منارة للعبادة، وإقامة الدروس الدينية، بالإضافة إلى تحفيظ كتاب الله، ولا يزال المسجد شامخا يحمل اسم الصحابي الجليل، وفي مدينة البيضاء بالجبل الأخضر ينير اسم الصحابي رويفع الأنصاري(ت: 56هـ) فوق المسجد الذي يخلد اسمه، بل إن شهرة مدينة درنة ــ على الرغم من معالمها المتعددة، وشلالها المتميزــ فإنها تتجسد في المسجد الذي يحمل اسم(مسجد الصحابة) .

أما علماء البلاد الذين كرسوا جهدهم ووقتهم وعلمهم لينالوه أبناء بلدهم، بل وأبناء المسلمين الوافدين إلى هذه الأماكن، فخلدهم التاريخ، وبنيت المساجد في هذه الأماكن لتحمل أسماءهم:

فالشيخ عبد الواحد الدوكالي، درّس القرآن، وتتلمذ عليه الكثيرون، والمسجد المسمى باسمه بمدينة مسلاتة يشهد له بذلك، فقد كان عامرا بطلاب القرآن ولا يزال، بل إنه ألحقت به كلية للعلوم الشرعية، كان أحد أقسامها يختص بعلوم القرآن وهو المسمى (قسم القراءات والأداء) والشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري بمدينة زليتن، وهو من علماء القرن التاسع (ت:981هـ)، فالمسجد المسمى باسمه علم بارز في تدريس القرآن والسنة عبر قرون خلت، وألحق به مؤخرا معهد متوسط للقرآن وعلومه للبنين والبنات، ناهيك عن الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية التي تضم مختلف التخصصات بما فيها تخصص القراءات ورسم القرآن الكريم.

بالإضافة إلى مسجد الشيخ أحمد زروق(ت:899هـ) بمدينة مصراتة ومئذنته الشامخة، وأهمية الدور الذي يؤديه المسجد في تحفيظ القرآن منذ منتصف القرن الثامن حتى الآن، علاوة على مكتبته العامرة وكلية الدراسات الإسلامية الملحقة به بأقسامها وشعبها التي من أبرزها شعبة القراءات القرآنية، هذه المساجد العامرة وغيرها كثير ، كانت تهتم ـ وما زالت ـ بالمحافظة على النص القرآني محفوظا ومكتوبا في الألواح الخشبية والقراطيس، وذلك من خلال خلاوي الكتاتيب والزوايا القرآنية الملحقة بالمساجد، وكما كان المسجد يقوم بدور بارز كانت الزوايا تأوي الطلاب الوافدين من مختلف الأماكن، وتقوم بدورها في هذا المجال[1].

دور الزوايا والكتاتيب:

تعددت أسماء الزوايا في مختلف أقطار العالم، فالزاوية في مناطق إيران يطلق عليها الخانقات، وفي غرب أسيا تسمى الخلوة، وفي تركيا يطلقون عليها التكايا، وفي الشمال الإفريقي الزاوية، وهناك علاقة بين الزاوية والرباط في المهام والأدوار، وفي اختيار المواقع وخاصة على الثغور[2]، وهي تعتبر من أهم مراكز الإشعاع في هذا البلد، حيث أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية، وخرَّجت العديد من الفقهاء والحفاظ، فكان طلابها يدرسون القرآن الكريم، والتفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، والأدب والتاريخ وغيرها، وبما أن لهذه الزوايا موارد متعددة من خلال الأحباس التي توقف عليها، لذلك فهي توفر الإقامة للطلاب الوافدين من المناطق البعيدة، وتقوم بالإنفاق عليهم فترة الدراسة، ومن أبرز الزوايا في هذا البلد:

1 ـ زاوية أولاد سهيل:

تقع هذه الزاوية في منطقة (أبي عيسى) قرب مدينة الزاوية، وقد أشرف على تأسيسها وإدارتها الشيخ أبو عيسى المتوفى عام (674هـ) وكان رحمه الله مشهورا بالتقى والصلاح، يعتني بضيافة القادمين إلى الزاوية من الغرباء، من داخل البلاد وخارجها، وبخاصة من قوافل الحجاج من المغاربة وغيرهم.

شهدت الزاوية أوج ازدهارها في القرن الثامن للهجرة، وكثر عدد الطلاب من داخل المنطقة أو المناطق المجاورة أو البعيدة، حيث ألحق بها عدد من الغرف الخاصة بسكن الطلاب المقيمين بالزاوية، كما ألحقت بها مكتبة تحوي العديد من

(1) ينظر: دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، عبد الله الشريف ومحمد الطـــــــوير، ص: 19. معجم البلدان الليبية، ص: 163.

(2) ينظر: التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني لمحمد الكوني بالحاج، ، ص: 29 ـ 30.

الكتب والمخطوطات القيمة، الأمر الذي جذب انتباه الرحالة التيجاني[1] حين زار الزاوية، فذكر أن بها كتبا كثيرة محبسة، وتتلقى الزاوية أموالا من الأحباس الموقوفة، تصرف على الطلاب والمدرسين، ويقتصر التعليم بها على تحفيظ القرآن الكريم فقط[2].

2 ـ زاوية أحمد زروق (ت:899هـ):

يرجع الفضل في تأسيس هذه الزاوية إلى العالم المعروف الشيخ أحمد زروق، المولود بمدينة مصراته عام: (846هـ) حيث تعتبر من أهم المعالم التاريخية في مدينة مصراته حتى سميت المنطقة باسمه فيما بعد، كما كان له السبق في إنشاء أول معهد ديني ذاعت شهرته على مدى أربعة قرون ونصف، وبالإضافة إلى كون الزاوية معلما تاريخيا فهي كذلك منارة علمية ذات شهرة عالية، تخرج فيها العديد من العلماء والفقهاء الذين تبوؤا مناصب القضاء والتدريس، وأسهموا في تعليم أبناء هذا البلد.

وألحق بالزاوية معهد لتعليم القرآن وعلومه، توج مؤخرا بإنشاء كلية للدراسات الإسلامية وبالإضافة إلى مسجد الصلاة، ألحقت مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات في مختلف فروع المعرفة، ومشتملة على مقتنيات الشيخ زروق من الكتب والمخطوطات والمراسلات، كما تحوي ما نسخه الطلاب فترة دراستهم بالزاوية، بالإضافة إلى عدد من الكتب والمخطوطات للعلماء والدارسين بالزاوية، ومن أشهرهم: ابن غلبون[3]، والشيخ رمضان بن تركية، وتقدر محتويات المكتبة بما يفوق (700) مجلد من المخطوطات النادرة، و قد تعرضت خلال فترة الاحتلال للنهب والسرقة والسلب، أسوة بمثيلاتها من المكتبات القائمة آنذاك في هذا البلد، حيث بيعت عديد المخطوطات وهربت إلى الخارج، وأكبر دليل على ذلك وجود مخطوطات الزروق في مكتبة الأسكوربال بأسبانيا، والمكتبة السليمانية بتركيا[4] .

3 ـ زاوية أبي ماضي:

تقع الزاوية في منطقة تسمى ككلة قرب جبل يدعى(أبو ماضي) وينسب اسمها لهذا الجبل، وتعد من أكبر زوايا الجبل الغربي ومدارسه الدينية، أسسها الشيخ: عبد النبي الأصفر، وهو من رجال القرن التاسع الهجري، ودفين الزاوية نفسها، وكانت تدعى بالأزهر الصغير لكثرة روادها المهاجرين والوافدين إليها من مختلف مدن الجبل الغربي وقراه، ويدرّس فيها أساتذة مشهود لهم بالعلم والكفاية، ولهم قيمتهم ومكانتهم بين علماء العالم الإسلامي. والمكتبة العلمية الملحقة كانت عامرة بالمخطوطات في مختلف العلوم الدينية واللغوية، تقدم خدماتها لعموم الباحثين في هذه المجالات[5]

4 ـ الزاوية الأسمرية:

تأسست هذه الزاوية بمدينة زليتن على يد العالم العابد عبد السلام بن سليم الأسمر المتوفى سنة: (981هـ) وهي مؤسسة علمية ثقافية، كان غرض مؤسسها تحفيظ القرآن الكريم وإقامة الدروس في تفسير القرآن الكريم وشرح السنة النبوية لأبناء المسلمين، مع الاهتمام باللغة العربية وأصول التشريع الإسلامي، فكانت حلقة الوصل بين الماضي والحاضر على مدى خمسة قرون تقريبا، تتلى في أرجائها آيات القرآن الكريم، وتتردد بين جنباتها مرويات السنة النبوية، وبسبب ذلك لازمها المجاورون، وشدت إليها الرحال من أماكن بعيدة، كما كانت محطة توقف للحجاج والرحالة المارين بها من المغرب والمشرق، يقيمون ضيوفا على أهلها، يحضرون الدروس، أو يقومون بالتدريس، ويتحاورون مع علمائها. وكان النظام السائد في الدراسة بالزاوية هو نظام الدراسة الحرة، فبعد إجازة الطالب للقرآن الكريم ينتقل إلى دراسة السنة، ووفق مستوى الطالب العلمي تحدد الكتب التي يستطيع دراستها، والحلقة الدراسية التي يختار الانضمام إليها، كما أخذت الزاوية بنظام الإجازة العلمية، وهو تقليد علمي ساد تاريخ الثقافة الإسلامية منذ القرون الأولى، حيث يجاز الطالب في الكتاب أو العلم الذي أتقنه من قبل الأستاذ المعتمد، وهذه الإجازة تؤهله للتدريس في الفرع الذي أجيز فيه.

([1]) أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني الرحالة الأديب التونسي مواليد: 670ه من آثاره: أداء اللازم في شرح مقصورة بن حازم، وهي ألفية حازم القرطاجني، والوفاء ببيان الشفاء، والدر النظيم في الأدب والتراجم، وتقييد الرحلة، وتقييد على صحيح مسلم وغيرها، ينظر: رحلة التيجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ص:29 وما بعدها

([2]) الفقيه المؤرخ محمد خليل بن غلبون، عاش في القرن الثاني عشر، وهو صاحب كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، يسرد بعض الأحداث ويترجم لعدد من الشخصيات الليبية.

([3]) ينظر: لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس، نجاح القابسي، ص: 213.

([4]) ينظر: المخطوطات العربية في الجماهيرية، واقعها وآفاق الاهتمام بها، مجلة الدراسات العلمية في المكتبات وعلم المعلومات، محمد أحمد جرناز، السنة الثانية، العدد الثاني: (يوليو: 1997م) ص: 22 .

([5]) ينظر: الحياة العلمية في الجبل الغربي، عبد الحميد الهرامة، مجلة البحوث التاريخية، (يناير:1985) ص: 83.

ومما ساعد على استقرار نظام التعليم في الزاوية استمرارية واستقلالية موارد الوقف التي ترد إليها في كل الظروف والأوقات، فالطلاب لهم الربع من الوقف، والأساتذة المعتمدون لهم مرتبات جارية، وضيوف الزاوية من الحجاج والمارة، والعلماء الوافدون لهم نصيب من مدخرات الوقف أثناء إقامتهم، وهذا الأمر مكن لهذه الزاوية القيام بدورها بحرية، دون التأثر بقوى محلية، أو سلطات حاكمة عبر التاريخ الطويل .

ومن مرافق الزاوية مسجد الصلاة، ومرافقه، ومبنى إقامة الطلاب والضيوف، بالإضافة إلى المكتبة التي تضم مجموعة من الكتب والمخطوطات القيمة، قدر عددها عام: (995هـ) بحوالي خمسمائة مجلد، جل مجموعاتها من المخطوطات، وهي في متناول الطلاب والأساتذة والباحثين في مختلف التخصصات[1].

5- زاوية الجغبوب:

أسست على يد الشيخ محمد إحدى المحطات لركب الحجاج المغاربة وبيت ضيافة للوافدين إليها والمارين بها، نزل الشيخ بالجبل الأخضر، وبنى فيها أولى زواياه في ليبيا عام:(1275هـ)، بن علي السنوسي الخطابي، المولود بالجزائر، وهي إحدى الزوايا التي أسست في الصحارى والواحات، وأضحت وسماها الزاوية البيضاء، وأنشأ بعدها العديد من الزوايا في مختلف المناطق تجاوز عددها ثنتان وسبعون زاوية، كان من مهامها تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية والعربية.

قامت زاوية الجغبوب بأعباء تعليمية داخل محيطها الريفي، واتسع نشاطها حتى وصل إلى وسط إفريقيا، وتخرج فيها العديد من الحفاظ والدعاة، وألحق بالزاوية عدد من المنشآت بينها مسجد للصلاة، ومدرسة للتحفيظ، ومعهد للعلوم الإسلامية، ومساكن للطلاب الوافدين من خارج ليبيا (من إفريقيا وآسيا)، كما ألحقت بها مكتبة علمية تعتبر من المكتبات المهمة في العالم الإسلامي أشار إليها الرحالة الحشائشي(ت:1912م) [2] في رحلته التي زار فيها ليبيا أواخر القرن التاسع عشر، حيث مر بالجغبوب فزار المكتبة، وأثنى عليها قائلا: (أما الكتب الموجودة بخزائنها فقد نيفت على ثمانية آلاف مجلد)[3].

المبحث الثالث: دور المؤسسات والأفراد في طباعة المصاحف ونشرها. إن الله تعالى جعل الكتابة من أجل صنائع البشر وأعلاها، ومن أكبر منافع الأمم وأسناها، فهي حرز لا يضيع ما استودع فيه، وكنز لا يتغير ما دون فيه، وحافظ لا يخاف عليه النسيان، وناطق بالقول من الصواب إذا حرفه اللسان، ولذلك قالﷺ: **"قيدوا العلم بالكتاب"**[4]، ونسب إلى الإمام الشافعي (ت: 204هـ) قوله:

العلم صيـــــــــد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة[5]

وكان عمر بن عبد العزيزﷺ (ت:101هـ) يصلي بالليل فإذا مرت به آية فهم منها شيئا سلم من صلاته وقيده في لوح أعده ليعمل به في غده، ولأهمية التدوين أقسم الله بالقلم ـ أداة التدوين ـ وما يسطر من أحرف فقال جل شأنه: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ[6] ﴾ ومن هنا كان الرسولﷺ يدعو كتبة الوحي ليدونوا ما ينزل من القرآن، وبعد أن جمعه الصحابة رضوان الله عليهم ودونوه في مصاحف وأرسلت إلى الأمصار، قيض الله له من اهتم بضبطه ورسمه، وقعد له القواعد لتتم بها الفوائد، فكان أهم ما دون كتابي: المقنع في الرسم، والمحكم في الضبط لأبي عمرو الداني (ت: 444هـ)، وكتاب التبيين لهجاء التنزيل في الرسم لأبي داود،

ومن ثم توجهت همة المخلصين في هذا البلد أفرادا ومؤسسات إلى الاهتمام بنسخ المصاحف وطباعتها ونشرها وفق ضوابط رسم المصحف وقواعد ضبطه فتعددت أنواعها، وتباينت أحجامها وأشكالها، وتعددت رواياتها وقراءاتها.

([1]) ينظر: زاوية الشيخ بزليطن: مسيرة علمية عمرها أربعة قرون، الصديق يعقوب (بحث مقدم في المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا) ص: 424 ـــ 426 .

([2]) محمد عثمان الحشائشي، أديب ورحالة ومؤرخ تونسي، زار طرابلس وبرقة وفزان أواخر القرن الثامن عشر، وخص الجغبوب ومدرسته بفصل يعد من أهم المراجع عن الدور العلمي الذي قامت به الزاوية ومدرستها، كان والده من مشايخ جامع الزيتونة، من آثاره العلمية: جلاء الكرب، رحلة الشتاء، كتاب في العادات والتقاليد، وله ديوان شعر، توفى سنة: 1912م ينظر: رحلة الحشائشي إلى ليبيا: 1895م تحقيق علي مصطفى المصراتي ص: 17.

([3]) ينظر: الحياة الأدبية في ليبيا للدكتور طه الماجري، القاهرة: معهد الدراسات العربية، 1962م.

([4]) فتح المغيث، محمد الرحمن السخاوي 2 :159.

([5]) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي، فقيه محدث، أديب، أصولي، من آثاره: كتاب الأم في الفقه، والمسانيد في الحديث، والرسالة في الأصول، توفى سنة:204هـ، ينظر طبقات الشافعية للسبكي 1: 329 والبيتان وردتا في ديونه.

([6]) القلم: 1.

المصاحف المخطوطة:

إذا كانت المصادر قد نقلت إلينا أن الشيخ الجناوني النفوسي الذي سبقت الإشارة إليه (كان حيا سنة:135هـ) قد كتب مصحفا بخطه خلال القرن الثاني الهجري فهذا يشير بوضوح إلى أن الليبيين قد بدأوا مبكرا بكتابة المصاحف الشريفة، ونحن وإن لم تحفظ لنا الآثار المخطوطة شيئا من صفحات هذا المصحف واكتفت بنقل الخبر من خلال من ترجم للكاتب وذلك نظرا للظروف والتحولات التي مرت بها البلاد، وهو ديدن عديد المدونات المخطوطة من المصاحف وغيرها، ومع ذلك لم نعدم الاطلاع على بعض المخطوط من المصاحف، سواء منها المجزأ في ثلاثين جزءا وهي المسماة ب(الربعة)، أو على هيئة مصحف متكامل، أو على شكل أرباع كل جزء يتضمن ربعا من القرآن الكريم، وهو ما يؤكد اهتمام المسلمين بكتابة النص القرآني، والاجتهاد في تقعيد قواعد رسمه وضبطه، ومن ثم تناقل ذلك عبر الأجيال. ويبدو واضحا من خلال المصادر التي وصلتنا أن اهتمام المغاربة كان متميزا في هذا الشأن.

واهتم الليبيون ـ خصوصا ـ بهذه الضوابط، فحفظوها عن ظهر قلب، وحافظوا عليها عبر الحقب الزمنية المتلاحقة، واختاروا لكتابة النص القرآني وحفظه أن يدون الطلاب النص في الألواح الخشبية، فيراجع ويصحح ثم يحفظ نصا وضبطا ورسما، ثم يختبر الطالب في ذلك قبل محوه ليكتب النص التالي له، وتفرغ بعض الحفظة لنسخ القرآن على هيئة مصاحف متكاملة وإن كانت في نطاق محدود، واحتفظت لنا بعض المكتبات بالزوايا والمساجد بعدد من النسخ الخطية للمصحف الشريف، بل إن عديد النسخ لاتزال حبيسة المكتبات الخاصة في غدامس، وسبها، والجغبوب، ومكتبة زاوية أولاد سهيل بالزاوية، وزاوية أبو ماضي بالجبل الغربي، وتذكر المصادر أن مكتبة زاوية طبقة بالحمادة ـ قرب مزدة ـ تحوي العديد من المخطوطات بينها المصحف الشريف[1] ، ومن بين المخطوطات التي ضمتها مكتبة زاوية الجغبوب: نسخ من القرآن الكريم مزينة بماء الذهب ومزخرفة بألوان جميلة[2].

وكان نساخ المصاحف منتشرون في مناطق متعددة منها: زويلة، ودرنة، وغدامس، ونالوت، ومصراته، وزليتن، وطرابلس وغيرها وكان لهؤلاء نتاج من المصاحف نذكر منها:

1 ـ مصحف متكامل برواية قالون، بخط مغربي، وبرسم أبي عمرو الداني، كتبه الناسخ: أحمد محمد الطاهر الأنصاري الطرابلسي، وتاريخ النسخ:1123هـ .

2 ـ مصحف برواية ورش، برسم وضبط أبي داود، بخط مغربي، كتبه الناسخ: أحمد محمد أبو بكر التاجوري، وتاريخ النسخ:1272هـ .

3 ـ مصحف برواية حفص، برسم أبي داود، كتبه الناسخ: مصطفى إبراهيم من مدينة درنة وتاريخ النسخ:1276هـ .

4 ـ مصحف برواية قالون، وبرسم أبي داود، كتبه الناسخ: مسعود ارحومة بن ساسي الورفلي من بني وليد، وتاريخ النسخ:1353هـ [3].

وتحتفظ مكتبة زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بنسختين نفيستين للمصحف الشريف:

الأولى بخط الناسخ: إبراهيم المحيشي، وتاريخها هو: 1281ه، وهو: الشيخ إبراهيم بن أبي الخير بن خليل المحيشي من مدينة مصراتة حسب الرواية المنقولة عن أحد أفراد العائلة وهو الطبيب: طه المحيشي، وإن كان الناسخ قد دون في نهاية المصحف بأنه مقيم في بني وليد، والنسخة المودعة بمكتبة الزاوية الأسمرية تمثل مصحفا متكاملا برواية قالون، ورسم أبي داود، ومما يميز هذه النسخة أنه دون في بداية كل سورة اسمها، وعد آياتها بالحروف وليس الأرقام، ومدنية أو مكية.

والثانية بخط: سليم بن مرسال، وتاريخ نسخها: 1369هـ، وهو الشيخ سليم السوداني البرناوي، المشيخي بالولاء، عرف في زمانه: بابن مرسال، واشتهرت عائلته بالمشيخي، وهو من مواليد منطقة البازة بزليتن، سنة: 1916م حفظ القرآن بزاوية الفطيسي، وتعلم في الزاوية الأسمرية، كتب عديد المصاحف المجزأة والكاملة وصل عدد النسخ إلى ثلاثين نسخة تقريبا[4]

(1) ينظر: الحياة العلمية في الجبل الغربي، عبد الحميد الهرامة، مجلة البحوث التاريخية يناير: 1984م ص:83.

(2) ينظر: الحياة الأدبية في ليبيا مصدر سابق:37 ورحلة الحشائشي إلى ليبيا عام 1895م علي مصطفى المصراتي، ص:151 ومكتبة الجامعة الإسلامية، مصدر سابق، ص: 49.

(3) أغلب النسخ المخطوطة المشار إليها حبيسة المكتبات الخاصة يتناقلها الوراث، ولم يمكنوا المراكز البحثية بصورة منها.

(4) مصدر الترجمة ابنه جمعة مرسال، المقيم مع العائلة في بنغازي، ينظر في هذا: المصاحف المخطوطة في ليبيا.بحث ميلاد مخزوم، المؤتمر الدولي الأول حول الجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه، البيضاء:2020م

إضافة إلى ما تقدم فإن المركز الليبي للدراسات والمحفوظات التاريخية بمركز الجهاد يضم عديد المخطوطات للمصحف الشريف بينها نسخة للمصحف الشريف من مدينة مرزق مكتوب على صفحات من رق الغزال وبخط مغربي(مبسط) وهو المشتق من الخط الكوفي الأندلسي ما بين القرنين الثامن والتاسع الميلادي.

طباعة المصاحف في ليبيا:

اهتم المسلمون بكتابة النص القرآني، واجتهدوا في تقعيد القواعد في رسمه وضبطه، وتناقلوا ذلك عبر الأجيال، ويبدو واضحا من خلال المصادر التي وصلتنا أن اهتمام المغاربة كان متميزا في هذا الشأن، واهتم الليبيون ـ خصوصا ـ بهذه الضوابط، فحفظوها عن ظهر قلب، وحافظوا عليها عبر الحقب الزمنية المتلاحقة، وحين انتشرت طباعة المصحف في بعض البلاد العربية والإسلامية توجهت همة الليبيين إلى هذا المجال خاصة وأن البلاد المجاورة في المشرق لم يكن اهتمامها برواية أهل البلد، الأمر الذي شجع الكثيرين أفرادا ومؤسسات إلى مجال طباعة المصحف الشريف، وكان السبق في طباعة المصحف للأفراد والمؤسسات الخاصة، ثم تلا ذلك عدد من المؤسسات العامة على مستوى الدولة.

جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة:

بدأت كتابة المصاحف وطباعتها في ليبيا في سبعينيات القرن العشرين من خلال طباعة رواية أهل البلد: (رواية الإمام قالون عن الإمام نافع) وكان أولها:

1 ــ المصحف الذي كتبه الشيخ صالح بن دخيل خلال سبعينيات القرن الماضي، وطبع في تونس، وقد كتب بخط مغربي وفق اختيار أبي داود في الرسم والضبط، طبع كاملا ثم مجزءا في أربع مجلدات، وكانت طبعة يتيمة ولم تجدد، ونظرا لوقوع بعض الهفوات التي وقعت الرسم والضبط حيث لم تلق حظها من المراجعة والتدقيق في ذلك الوقت، وقد حاول الشيخ أن يعيد التجربة ويكتب مصحفا يتجاوز فيه ما وقع من هنات في المطبوع أولا إلا أن مشروعه هذا لم يلق رعاية جهة عامة أو خاصة.

2 ـ مصحف ليبيا الذي أعدته لجنة من الحفاظ الليبيين وفق اختيار أبي داود في الرسم والضبط، وبإشراف دار الأرباح للطباعة بمصراته، وطبع على نفقة الجمعية الشرعية للعلم والدعوة إلى الله تعالى، وصدرت منه حتى الآن طبعتان، كانت الأولى عام:2012م.

3 ــ مصحف برواية قالون، وبرسم وضبط أبي داود، بقلم الخطاط: حسن العويتي زهيمة، وروجع من قبل لجنة متخصصة في كل من ليبيا، وتونس، وطبع بالدار الوطنية للنشر، صدرت منه طبعة واحدة عام:2014م.

4 ــ مصحف برواية قالون وفق اختيار أبي عمرو الداني في الرسم والضبط، وبخط الشيخ عثمان طه، كتب أساسا برواية حفص، ثم عدل برواية قالون، قامت بذلك لجنة متخصصة من الحفاظ الليبيين، ونال موافقة لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، ودار الفتوى اللبنانية، بالإضافة إلى لجنة خبراء القرآن الكريم بالهيئة العامة للأوقاف، وقامت على طبعه ونشره: الدار المثالية للنشر، كانت طبعته الأولى عام:2017م، والثانية عام:2019م.

دور المؤسسات العامة في طباعة المصحف:

واتخذت ــ فيما بعد ــ بعض الخطوات العملية لكتابة المصحف الشريف وطباعته من قبل الجهات العامة في الدولة، وذلك إما رغبة في توفير المصحف للقراء بتنوع قواعد رسمه وضبطه، أو سدا لحاجة السوق للمصحف، وشدة الإقبال عليه، ومن ذلك:

أ ـ قيام أمانة التعليم بطباعة مصحف برسم وضبط أبي داود، إلا أنه كتب بخط مشرقي وهو خط (النسخ)، والمصحف أعده وأشرف عليه الشيخ رمضان شادي رحمه الله رفقة لجنة من الحفاظ الليبيين وفق ما ورد في قرار تشكيل اللجنة سنة: 1975م، وتمت مراجعته والمصادقة عليه من قبل حفاظ متخصصين من ليبيا وتونس والمغرب بتاريخ: /4/1978م[1]

واستبشر الحفاظ بذلك، حيث طبعت منه كميات كبيرة وزعت وقتها على مكاتب التعليم في المناطق ليتم توزيعها على جميع المدارس، لكنه كسابقه ـــ مصحف الشيخ شادي ــ طبع مرة واحدة ولم تعد طباعته فيما بعد من قبل أي جهة خاصة أو عامة، وبذلك عاد التشوق لاقتناء المصحف من قبل قرائه بعد أن نفذت الكمية المطبوعة منه.

ب ـ جهود جمعية الدعوة في طباعة المصاحف ونشرها: تأسست جمعية الدعوة الإسلامية العالمية سنة:1972م بموجب القرار رقم:72/58م وهي هيئة ذات نفع عام تهتم بشؤون الدعوة،

([1]) ينظر: صفحة التعريف بمصحف أمانة التعليم المعروف بمصحف الشيخ شادي، الطبعة الأولى، ص:19 ـــ 20 من الملاحق للمصحف.

ونشر الثقافة الإسلامية، وتعليم اللغة العربية، وتعزيز التعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية في كل ما من شأنه أن يرسخ مبادئ الإسلام، ويبني أسس التعارف والحوار بين الثقافات.

وقد دأبت الجمعية ـ من خلال قنوات النشر بها ـ على الاهتمام بالمعرفة بمختلف مجالاتها وأنواعها وبخاصة ما يتعلق منها بالتراث الثقافي، وأولت اهتماما خاصا لطباعة الكتب الدينية ونشرها، والإصدارات الفصلية، وتحقيق المخطوطات وطباعتها، وبما أن الوسيلة الأساس في كل هذه المهام هو القرآن الكريم، كان من اللازم أن تقوم الجمعية بطباعة القرآن الكريم وترجمته إلى عدد من اللغات، وتوزيعه في مختلف قارات العالم، على أن يكون طبع المصحف الشريف بداية برواية أهل البلاد، وفي هذا التوجه أصدرت القرار رقم: (227) لسنة: 1980م تضمن تشكيل لجنة متخصصة من العلماء والحفاظ الليبيين لإعداد مصحف برواية قالون عن نافع المدني وكتابة وفق اختيار الإمام أبي عمرو الداني (ت:444هـ) في الرسم والضبط يسمى (مصحف الجماهيرية) وبخط النسخ، وكانت الكتابة بقلم الخطاط الشيخ: أبوبكر ساسي رحمه الله، وقد أدت اللجنة هذه المهمة العظيمة على أكمل وجه، وانتهت من الكتابة والمراجعة بتاريخ: 1983/7/7م[1] ودخلت هذه الطبعة المكتبات والمساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم والبيوت أيضا خلال العام الموالي، واستبشر الناس بهذا خيرا، لأن طريقة الرسم والضبط التي دون بها المصحف كانت وفق ما عليه أغلب الحفاظ في مختلف المناطق من البلاد وبخاصة المناطق الساحلية.

وتوالت بعد ذلك طبعاته المتعددة، حيث صدرت الطبعة الخامسة عشر منه عام: 2019م بالإضافة إلى منح الإذن من الجمعية إلى الهيئة العامة للأوقاف بطبعة خاصة لتوزع على المساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم التابعة للأوقاف، وبموجب هذا الإذن قامت الهيئة بالطبعة الأولى خلال عام: 2007م تلتها طبعة ثانية عام: 2010م

وبما أن الجمعية في قرار إنشائها هي جمعية أهلية ذات طبيعة دعوية، تهتم بالدعوة للإسلام في مختلف بقاع العالم، ومكاتبها تقوم بمناشط في مختلف القارات من خلال الدعاة التابعين للجمعية، والمنتشرين في تلك المناطق، فقد آلت على نفسها أن تطبع وتنشر المصحف الشريف بمختلف الروايات القرآنية المتواترة، والروايات الصحيحة الثابتة عن رسول اللهﷺ، وهي لذلك كلفت لجنة علمية وأخرى فنية للقيام بهذا العمل بموجب قرار أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية رقم: (97) لسنة: 2004م، والقرار رقم:(15) لسنة:2009م[2] ، وقد باشرت اللجنتان مهامهما، وبدأتا بإنجاز روايتين في هذه المرحلة:

الأولي: رواية البزي(أحمد بن محمد بن أبي بزة ت:250ه) عن ابن كثير(عبد الله بن كثير المكي من التابعين ت:120ه) قاريء أهل مكة، برسم المشارقة،

والثانية: رواية حفص(سليمان بن المغيرة الكوفي، ت:180ه) عن عاصم(أبو بكر عاصم بن أبي النجود ت:128ه) قارئ الكوفة، طبعت الروايتان ووصلت القراء في نهاية عام: 2010م والمعلوم أن رواية البزي تطبع لأول مرة في العالم الإسلامي، أما رواية عاصم فهي مطبوعة ومتداولة، وهي الرواية الأوسع انتشارا في العالم الإسلامي ثم اجتهدت اللجنة في إنجاز عدد من الروايات القرآنية الأخرى، ولم تكن مرتبة وفق ترتيب القراء عند أهل التخصص، بل كان اختيارها اجتهادا من اللجنة، حيث تم كتابة وطبع أربع روايات أخرى بقراءات مختلفة وهي:

1 ـ رواية قالون(أبو موسى عيسى بن مينا ت:220ه) عن نافع (أبو رويم نافع بن عبد الرحمن، ت:169ه) قارئ المدينة، كتبت وفق اختيار أبي داود في الرسم والضبط، وهي رواية مطبوعة ومتداولة، يقرأ بها في ليبيا، وتونس، وبعض الدول الإفريقية، وصعيد مصر، 2 ـ رواية ورش(عثمان بن سعيد المصري ت:197هـ) عن نافع (أبو رويم نافع بن عبد الرحمن ،ت:169ه) قارئ المدينة، وهي رواية مطبوعة ومنتشرة في دول المغرب العربي ، ووسط وغرب إفريقيا، بالإضافة مناطق في الجنوب الليبي والواحات.

3 ـ رواية هشام: (أبو الوليد عمار بن نصير الدمشقي، ت: 245هـ) عن ابن عامر الشامي : (أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، ت: 118هـ) قارئ أهل الشام ، والرواية تطبع لأول مرة في العالم الإسلامي.

4 ـ رواية أبي الحارث(الليث بن خالد البغدادي،ت:240هـ) عن الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي، ت:189ه)، والرواية من قراءة أهل الكوفة، وتطبع لأول مرة في العالم الإسلامي.

وطباعة عدد من الروايات القرآنية يعتبر سبقا علميا عالميا تفوز به جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، التي لم يتوقف جهدها في نشر القرآن الكريم وعلومه عند طبع المصاحف وتوزيعها على المسلمين في المساجد، والمراكز الإسلامية في مختلف

(1) ينظر: صفحة التعريف بمصحف الجماهيرية، الصفحة (د) والصفحة (ر) الطبعة الأولى: 1984م.

(2) ينظر: صفحة التعريف بمصحف الجماهيرية، رواية البزي (د) والصفحة (ر) الطبعة الأولى:2009م. دار النسيم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

مناطق العالم من خلال مكاتبها ودعاتها الموجودين في تلك المناطق، بل تعداه إلى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات مصحوبا بالنص القرآني بالعربية، ومن بين هذه اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والأوردية. ومع كل ذلك فالذي نأمله هو أن تستمر الجمعية في طباعة ونشر بقية الروايات القرآنية المتواترة، وبذلك يكون لها السبق من بين المنظمات والجمعيات، بل والمؤسسات التي تعنى بكتابة المصحف، وطباعته ونشره، وترجمة معانيه إلى اللغات الحية في العالم، كما أن لهذا البلد التميز في عدد الحُفَّاظ، وكثرة الفائزين في المحافل والمسابقات القرآنية العربية والعالمية، وقد تشرف معد هذه الورقة بعضوية لجنة إعداد ومراجعة المصاحف الشريفة التي طبعتها جمعية الدعوة الإسلامية بمختلف الروايات، وتشرف برئاسة لجنة المصحف الذي طبعته الدار المثالية للنشر، وهو في الواقع تشريف لهذا البلد، وتشريف لحفاظ هذا البلد.

ج ـ جهود الهيئة العامة للأوقاف في طباعة المصحف:

هيئة الأوقاف هي المؤسسة التي أوكل إليها المجتمع الإشراف على المساجد والكتاتيب ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، وبهذه الأماكن مجال تلاوة القرآن الكريم وتحفيظه، وبالتالي فهي معنية بتوفير المصاحف بها لعامة المسلمين الذين يرتادون المساجد والطلاب المنتسبين للكتاتيب، وخلال العقد الأول من هذا القرن منحت الإذن لطباعة مصحف الجمعية في طبعات خاصة بموجب إذن من الجهة المالكة، إلا أنها عزمت فيما بعد على أن تصدر مصحفا باسمها حيث شكلت لذلك لجنة لكتابة ومراجعة المصحف بموجب القرار رقم:386 لسنة: 2017م وقد باشرت اللجنة مهمتها وأنجزت المصحف برواية قالون وفق الرسم والضبط على اختيار أبي عمرو الداني، وكان المصحف في أيدي القراء بعد إنجازه بتاريخ:2021/11/30م

واللجنة تجاوزت عديد الهفوات التي وقعت المصاحف السابقة وأكدت على ماورد من نصوص في المصادر العلمية في الضبط والرسم والوقف والفواصل وعدد الآي، كما تجاوزت تركيب الحروف، وترك المساحات الكافية لوضع علامات الضبط والشكل وعلامات الوقف في الأماكن المحددة لكل حرف، كما استعانت بكتب اللغة والتفسير إضافة إلى كتب علم الوقف والابتداء لتجاوز كثير من مواضع الوقوف المختلف فيها وأوضحت نتائج ذلك في الملاحق التي دونت بعد انتهاء المصحف الشريف،

النتائج والتوصيات:

نزل القرآن الكريم على الرسول الأمين فحفظه ووعاه، ودعا أصحابه إلى حفظه وإتقانه، ولم يكتف بحفظه في الصدور بل أمر بالكتابة والتدوين ليعاضد المحفوظ المكتوب، كل ذلك حرصا على ألا يتفلت منه حرف، أو يزاد عليه، وسارت أمته على نهجه القويم، فحفظوه ودونوه، بدأ التدوين مخطوطا وفق المتوفر والمتاح، ثم تطور إلى طباعة المصحف الشريف فتنوعت أشكاله وأحجامه، وتعددت خطوطه وزخارفه، وكان الليبيون جزءا من هذا العمل الذي يخدم كتاب الله تعالى، فدونوه مخطوطا في وقت مبكر، ثم اجتهدوا في طباعته، والورقة البحثية خلصت إلى جملة من النتائج التي يمكن إبرازها في الآتي:

1 ـ إن اهتمام الليبيين لم يتوقف عند حفظ النص، والاكتفاء بحسن الأداء، بل تعده إلى الكتابة والتدوين فكتبه ابن مغيطير الجناوني منذ القرن الثاني الهجري مع بداية الفتوحات لهذه البلاد.

2 ـ فتحت الكتاتيب ومراكز التحفيظ في المساجد والزوايا والرباطات لتقوم بدورها التعليمي، وتحافظ على النص عبر الأجيال، فكانت القراطيس والألواح الخشبية طريقة الحفظ والإتقان.

3 ـ تواصل النساخ للقيام بمهمة كتابة المصاحف، ورغم التقلبات التي مرت بها البلاد، وتعدد فترات الهيمنة الأجنبية فإن المكتبات العامة والخاص، قد حفظت لنا نماذج من هذه المصاحف المخطوطة، وما أشرنا إليه في هذه الورقة يمثل مرحلة تاريخية من الاستقرار في البلاد.

4 ـ حين تهيأ المناخ المناسب لطباعة المصحف ظهر حرص الليبيين أفرادا ومؤسسات ليقدموا الأجود والأفضل في مجال طباعة القرآن الكريم، فظهرت المصاحف المطبوعة في شكل يليق بعظمة هذا الكتاب، وطبعت الأحجام المناسبة للمتعلمين والمعلمين، وبرزت مدارس الضبط والرسم في هذه المصاحف، بل تنوعت الروايات التي طبعت بها المصاحف، وحاز الليبيون السبق في طباعة روايات لم تر النور من قبل، ولم تعرف إلا من خلال المعاهد والجامعات المتخصصة، فلله الحمد أولا وآخرا.

التوصيات: والباحث في ختام الورقة يوصي بالآتي:

أولا: الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة وإدخالها وإدخالها ضمن أساليب تعليم القرآن الكريم في تعليم الكتابة والرسم والضبط والصوتيات وغيرها.

ثانيا: الاهتمام بالمصاحف الإلكترونية ومراجعتها وجعلها في متناول القراء والباحثين، وفتح مجال التعاون مع الأقطار العربية والإسلامية في هذا المجال.

ثالثا: اطلاق حملة وطنية لتجميع المخطوطات في مجال القرآن الكريم وعلومه وفهرستها في المراكز البحثية للحفاظ على تراث هذه الأمة والاستفادة منها في المجالات العلمية.

المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، ت: أحمد علي، دار الحديث القاهرة: 2006
- أسباب النزول للواحدي
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر، دار اكتب العلمية بيروت .
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسلقلاني، دار الغد بيروت 1412/1هـ
- البداية والنهاية. ابن كثير الدمشقي مكتبة المصارف بيروت 1984/5م
- بهجة الجنان في تاريخ تدوين القرآن، محمد عناية الله، مؤسسة نظام القرآن، الهند، بدون تاريخ
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة.
- تاريخ مصحف الشريف، عبد الفتاح القاضي، مصطفى البابي الحلبي القاهرة
- تريخ القراءات في المشرق والمغرب، محمد ولد أباه، دار الكتب العلمية بيروت 2008م
- تخريج مشكاه المصابيح، ناصر الدين الألباني، بدون تاريخ
- تخريج شرح السنة، شعيب الأرناؤوط وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ترتيب المدارك، القاضي عياض
- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، دار العربية للكتاب
- التعليم في مدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني، محمد الكوني، دار الوطنية بنغازي
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، توزيع دار المعرفة الدار البيضاء
- الحياة الأدبية في ليبيا، طه الماجري، معهد الدراسات العربية القاهرة 1962م.
- دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق الليبية، عبدالله الشريف والطوير، الدار الجماهرية
- الدولة العربية في اسبانيا، إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية بيروت: 1986م
- رحلة الحشائشي إلى ليبيا، ت:علي مصطفى المصراتي، دار البيان 1965/1م
- ديوان المتلمس الضبعي، اعتنى به: حسين كامل.
- رحلة التيجاني، أبو محمد عبد الله التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار الفكر بيروت:1983م
- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري.
- زاوية الشيخ بزليتن مسيرة علمية، الصديق يعقوب، المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا مركز الجهاد، طرابلس 1992م.

- طبقات الشافعية، تقي الدين السبكي، ت:عبدالفتاح الحلو والطناجي دار هجر للطباعة مصر 1992/1م.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد البصري، ت:زياد منصور، دار إحياء التراث بيروت
- كتاب المصاحف، للسجستاني، ت: محمد بن عبده، دار الفاروق.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر بيروت
- الكشاف للزمخشري، دار الفكر بيروت 1977/1م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت 1994/3م.
- لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس في العصر الوسيط، نجاح القابسي، مجلة البحوث التاريخية يوليو 1980م.
- المخطوطات العربية في الجماهرية واقعها وآفاق مستقبلها، محمد جرناز، مجلة الدراسات العلمية في المكتبات يوليو 1997م.
- المنهاج في رسمية الرجراج، الفقيه عبد الواحد الرجراجي، 2002/1م
- معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، مؤسسة الفرجاني، طرابلس.
- المقنع في مرسوم المصاحف، أبوعمرو الداني ت: أحمد دهمان، مكتبة النجاح طرابلس
- المرشد الوجيز في علوم كتاب العزيز، أبوشامة المقدسي، دار الكتب العلمية بيروت 2003/1م.
- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري ضبطه محمود نصار، دار الكتب العلمية 2002م.
- صحيح الجامع، ناصر الدين الألباني
- العقد الفريد، ابن عبد رب الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، دار الكتب العلمية بيروت 1933م.
- فتح العرب للمغرب، حسين مؤنس، مكتبة الإسكندرية .
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.
- فتح المغيث، محمد السخاوي
- سير أعلام النبلاء للذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت 1984م.
- سيرة ابن هشام(إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) مراجعة: محمد خليل هراس، مكتبة الجمهورية القاهرة.
- الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، ت: إحسان عباس دار صادر بيروت.